الإسلام وتنظيم الأسرة

بقلم فرزانة رودى - فهيمى

تقوم الحكومات فى سائر أنحاء العالم - بما فيها حكومات كثيرة فى العالم الإسلامى - بدعم برامج تنظيم الأسرة لتمكين الأفراد والأزواج من اختيار عدد أبنائهم وتوقيت إنجابهم. وقد أدى تطور وسائل منع الحمل الحديثة، والبرامج المنسقة لتنظيم الأسرة، والاتفاقيات الدولية بشأن تنظيم الأسرة إلى إعطاء زخم جديد للمجادلات القديمة حول : هل الأفراد والأزواج المسلمون مسموح لهم باستخدام تنظيم الأسرة؟ وهل تستطيع الحكومات المشاركة فى تقديم المعلومات والخدمات الخاصة بتنظيم الأسرة؟

ويلقى هذا التقرير نظرة عامة على سياسات الدول الإسلامية إزاء تنظيم الأسرة ووسائل منع الحمل الحديثة ودعمها. ويستعرض أحكام الشريعة الإسلامية والمبررات التى تجيز تنظيم الأسرة، استنادا إلى كتاب *تنظيم الأسرة فى التراث الإسلامى* للراحل الدكتور عبد الرحيم عمران.[١]

الإطار الدولى

أصبحت برامج تنظيم الأسرة المنسقة التى توفر وسائل منع الحمل الحديثة والخدمات ذات الصلة شائعة بصورة متزايدة فى سائر أنحاء العالم فى السنوات الأربعين الأخيرة. وتستهدف هذه البرامج تحسين صحة النساء والأطفال، والحد من الزيادة السكانية فى الدول التى تمثل الزيادة السكانية السريعة فيها عقبة أمام التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

وقد دعا المؤتمر الدولى للسكان والتنمية الذى نظمته الأمم المتحدة عام ١٩٩٤ وقمة الألفية الثانية ٢٠٠٠ للتنمية إلى تعميم سبل الوصول إلى المعلومات والخدمات الخاصة بتنظيم الأسرة. وقد أقرت الدول الإسلامية المشاركة فى المؤتمر الدولى للسكان والتنمية بصفة عامة برنامج عمل المؤتمر مع التحفظ بأنها سوف تفسر وتتبنى توصيات المؤتمر وفقا لتعاليم الإسلام - وهو موقف ضرورى للدول الإسلامية لكى تنقل توصيات المؤتمر إلى أوطانها للتطبيق.

تمثل هذه النظرة العامة للإسلام وتنظيم الأسرة جزءا من سلسلة البيانات الموجزة عن السياسة التى يصدرها المكتب المرجعى للسكان بشأن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، والتى تتناول بالتحليل الروابط بين السكان، والبيئة والصحة الإنجابية، والتنمية. وتهدف هذه السلسلة إلى زيادة المعرفة ومناقشة قضايا السكان، والصحة، والتنمية. والآراء الواردة هنا هى آراء المؤلف والأعمال التى يتم الاستشهاد بها، ولا تعكس بالضرورة آراء المكتب المرجعى للسكان أو المشرفين عليه.

ويركز برنامج العمل الذى أقره المؤتمر على التنمية البشرية ويقدم إطارا شاملا للحد من الزيادة السكانية وتحسين حياة البشر. ويدعو البرنامج إلى سلسلة طويلة من الاستثمارات لتحسين الصحة، والتعليم، والحقوق - خاصة للنساء والأطفال - وتوفير خدمات تنظيم الأسرة فى إطار الرعاية الشاملة للصحة الإنجابية. وتتمثل التوصية المحورية للبرنامج فى تعميم سبل الوصول إلى كافة وسائل تنظيم الأسرة، الآمنة والموثوق بها.

ولموقف الإسلام من تنظيم الأسرة والظروف التى يمكن فى ظلها ممارسته، تأثير مباشر اليوم على كيفية تحقيق الدول الإسلامية أهدافها الإنمائية، بما فى ذلك أهداف المؤتمر الدولى للسكان والتنمية. ويعترف برنامج عمل المؤتمر بأن تطبيق توصياته «حق سيادى لكل دولة، بما يتماشى مع قوانينها الوطنية وأولوياتها الإنمائية، مع الاحترام التام لسائر القيم الدينية والأخلاقية، والخلفية الثقافية لشعوبها، ووفقا لحقوق الإنسان الدولية المعترف بها عالميا».[٢]

المسلمون فى عالم اليوم

يمثل المسلمون، البالغ عددهم ١,٢٥ مليار نسمة، نحو خمس سكان العالم. ويتباين المسلمون فيما بينهم، ويختلفون من حيث

الجدول ١

الدول أو المناطق التى يمثل المسلمون فيها ٥٠ فى المائة أو أكثر من السكان

نسبة المسلمين	الدولة أو المنطقة		
	أفريقيا	آسيا	أوروبا
٩٠٪ أو أكثر	تونس الجزائر جزر القمر جزر مايوت جيبوتى زانزبار السنغال الصومال غامبيا ليبيا مالى مصر المغرب موريتانيا	أذربيجان الأردن أفغانستان الإمارات العربية المتحدة إيران باكستان البحرين تركيا جزر الكوكوس جزر المالديف سوريا طاجيكستان العراق عمان قطاع غزة قطر المملكة العربية السعودية اليمن	
٧٠٪–٨٩٪	غينيا النيجر	إندونيسيا أوزبكستان بنغلاديش تركمانستان الضفة الغربية قيرغيزيا الكويت لبنان	ألبانيا
٥٠٪–٦٩٪	بوركينا فاصو تشاد السودان نيجيريا	بروناى ماليزيا	

الجنس، واللغة، ودرجة محافظتهم على دينهم. ولما كان المسلمون منتشرين فى جميع أنحاء العالم، فإن البعض منهم يعيشون فى دول متأثرة أو محكومة بالشريعة الإسلامية، بينما يعيش البعض الآخر فى دول ذات حكومات علمانية.

ويمثل المسلمون أغلبية السكان فى نحو ٤٨ دولة ومنطقة تتركز فى أفريقيا وآسيا (انظر الجدول١). وتضم إندونيسيا العدد الأكبر من السكان المسلمين فى أى دولة - ١٩٣ مليون مسلم من مجموع السكان البالغ تعدادهم ٢١٩ مليون نسمة (٨٨ فى المائة). وتضم الهند، ثانى أكبر دولة فى العالم، نحو ١٣٠ مليون مسلم، يمثلون ١٢ فى المائة من السكان. كما أن نحو ١٥ فى المائة من السكان فى إسرائيل مسلمون.

الأسرة ومنع الحمل

فى الإسلام، تتم معالجة مسألة منع الحمل أساسا فى إطار الزواج والأسرة. وباعتباره نظاما اجتماعيا، وثقافة، وحضارة، فإن الإسلام يعتبر الأسرة هى الوحدة الأساسية للمجتمع. وينظر القرآن الكريم - كتاب الإسلام المقدس والمصدر الرئيسى للشريعة الإسلامية (انظر الإطار ١) - إلى الزواج كرباط مقدس، ويعتبر أن الزوج والزوجة هما عماد تكوين الأسر.

ويورد القرآن الكريم عددا من الإشارات إلى الزواج، منها:

﴿ *وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ....* ﴾

(الروم: من الآية ٢١)

﴿ *هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ....* ﴾

(الأعراف: من الآية ١٨٩)

﴿ *وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ....* ﴾

(النحل: من الآية ٧٢)

وتوحى هذه الآيات بأن السكينة هى أحد الأغراض المهمة للحياة الأسرية، وأنها تتحقق من خلال الزواج. كما أنه فى حين أن التناسل المترتب على الزواج يحافظ على بقاء الجنس البشرى، فإن العلاقات الجنسية فى الزواج لا تستلزم أن تكون دائما بغرض إنجاب الأطفال. وفى هذه النقطة، يختلف الإسلام عن بعض الديانات، حيث التناسل هو الغرض الوحيد للعلاقات الجنسية. ومن وجهة النظر الإسلامية، فإنه عندما يحدث التناسل، ينبغى أن يحقق السكينة لا أن يخل بها.

وهكذا، فإن منع الحمل يساعد الأسر على تحقيق السكينة بأن ينجبوا أطفالا حينما يريدونهم وحينما يكونون مستعدين لذلك. ونظرا لأهمية الأسرة فى المجتمعات الإسلامية، فإن الفقهاء من مختلف مذاهب الشريعة الإسلامية (انظر إطار ٢، صفحة ٣) ومن مختلف المواقع يعطون أهمية كبيرة لمنع الحمل.

مبررات منع الحمل فى فقه الشريعة الإسلامية

يبرر فقهاء المسلمين الذين درسوا قضية تنظيم الأسرة مسألة منع الحمل بعدة طرق. فهم يقولون بصفة عامة إن الإسلام هو

دين الاعتدال ويشيرون إلى مبادئ «الإباحة» أو «السماحة» فى الإسلام - أى أن كل شىء مباح، إلا فى حالة ورود نص صريح مخالف فى القرآن الكريم أو السنة.

والقرآن الكريم لا يحرم تحديد النسل، كما أنه لا يمنع الزوج أو الزوجة من تباعد فترات الحمل أو تحديد عددها. ولذلك، فإن أغلب فقهاء المسلمين يرون أن تنظيم الأسرة مباح فى الإسلام. ويقول هؤلاء الفقهاء إن سكوت القرآن الكريم عن قضية منع الحمل ليس بسبب إغفال الله لها، حيث إنه «العليم» بكل شىء، وإن الإسلام كما هو معروف ليس محدودا بزمان معين. كما يشير المؤيدون لتنظيم الأسرة أيضا إلى أن العزل كان يمارسه الصحابة فى أيام رسول الله. ويتفق غالبية علماء الدين من كافة المذاهب الإسلامية تقريبا على أن العزل جائز بموافقة الزوجة. وللزوجة فى الإسلام الحق فى المتعة الجنسية والإنجاب على السواء. (وقد يرى بعض الفقهاء أن القذف لازم للمرأة كى تصل إلى ذروة لذة الجماع، ومن ثم فإنه من الضرورى الحصول على موافقة الزوجة مسبقا قبل ممارسة العزل).

وينتهى الدكتور عمران إلى القول بأن «الإسلام بجميع تشريعاته ونظمه يلتزم بالعقل ويحافظ على الانسجام مع فطرة الإنسان، ولا يتوانى مطلقا عن إبداء رحمته الواسعة بكل الناس، ولا يسعى أبدا إلى فرض أعباء لا يطيقونها أو قيود لا يستطيعون احتمالها». ويستشهد الدكتور عمران بصفة خاصة بالآيات التالية من القرآن الكريم:

﴿ .... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ .... ﴾
(البقرة: من الآية ١٨٥)

﴿ .... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ .... ﴾
(الحج: من الآية ٧٨)

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾
(النساء: ٢٨)

وهكذا، يتعاطف الإسلام مع تنظيم الأسرة إذا كان تباعد فترات الحمل وتحديد عدده يجعل المرأة أكثر لياقة بدنية والرجل أكثر يسرا من الناحية المالية، خاصة أن مثل هذه الأعمال لا تخالف أى نص من القرآن الكريم أو السنة. وإذا كانت كثرة الإنجاب تؤدى إلى مخاطر صحية مؤكدة للأمهات والأطفال، أو إلى مصاعب اقتصادية وضيق مالى للأب، أو إلى عدم قدرة الآباء على تنشئة أبنائهم بصورة سليمة، فإنه يرخص للمسلمين بتنظيم إنجابهم بالطريقة التى تحد من مصاعبهم.

الإطار ١

مصادر الشريعة الإسلامية

الشريعة، بالنسبة للمسلمين، هى القانون الإلهى؛ ويصبح الإنسان مسلما بمقتضى التسليم بها، بالرغم من أنه قد لا يستطيع إدراك كل تعاليمها أو إتباع كل أحكامها. وكلمة «الشريعة» (أى القانون الإسلامى) مشتقة من جذر كلمة تعنى «الشارع» - بما يوحى بأن الحياة رحلة عبر هذا العالم الزائل وأن الشريعة هى الطريق إلى الله. كما أن الشريعة بالنسبة للمؤمنين تمثل دليل العمل البشرى الذى يشمل كل أوجه الحياة البشرية. وهكذا، فإن الإسلام دين مرشد إلى العبادة، كما أنه نظام اجتماعى للحياة العامة والخاصة للمسلمين.

وتعتبر المصادر الرئيسية للشريعة هى القرآن الكريم والسنة (وهى أقوال وأفعال رسول الله ﷺ والصحابة). كما أن هناك مصدرين آخرين للشريعة يستندان إلى القرآن الكريم والسنة، وإن كانا تابعين لهما، هما: إجماع فقهاء المسلمين والقياس.

وتعتمد الدراسة الفقهية الإسلامية على سلسلة من التفسيرات أو الأحكام المستندة إلى القرآن الكريم والسنة، التى يتم الوصول إليها بعد دراسات دقيقة. ويعتبر أولئك الذين يوقفون جهدهم على دراسة القرآن الكريم والسنة والقيام بإصدار الأحكام الدينية مؤهلين لإصدار الفتاوى الإسلامية بعد وصولهم إلى المستوى المطلوب من المعرفة والمكانة العالية. ولكى يصدر الفقيه الفتوى، فإن المطلوب منه أن يضع نصب عينيه بعض المبادئ الأساسية، وهى أن الأحكام الإسلامية قد تتغير مع تغير الزمان والمكان، وأن الأحكام ينبغى أن تتخير أهون الضررين، وأن تحافظ على المصلحة العامة. ويأخذ العلماء المسلمون فى اعتبارهم هذه المبادئ عندما يناقشون القضايا المتعلقة بتنظيم الأسرة واستخدام وسائل منع الحمل.

وحيث إنه لا توجد سلطة عليا وحيدة فى الإسلام لتقديم تفسير جامع مانع للعقيدة، فإن هناك خلافات حقيقية فى الرأى، تشمل الخلافات المتعلقة بتنظيم الأسرة ومنع الحمل، والتى تفرق مذهبا فقهيا عن الآخر (انظر الإطار ٢، صفحة ٤). ولذلك، فإن هناك تباينات فى التفسير وخلافات فى الرأى داخل كل مذهب، حيث يمكن لأقلية من علماء الدين أن تعبر عن آراء وأن تصدر فتاوى تختلف عن رأى الأغلبية فى مذهبهم وتتطابق مع آراء المذاهب الأخرى. وبعبارة أخرى، فإن الحقيقة ليست حكرا على مذهب بعينه. ويستطيع المسلمون النظر فى الآراء المختلفة وليس تقييد أنفسهم بمذهب واحد فى جميع الأوقات.

المصادر: Abdel Rahim Omran, *Family Planning in the Legacy of Islam* (London: Routledge, 1992); and Seyyed Hossein Nasr, *Ideals and Realities of Islam* (Chicago: ABC International Group, 2000).

وبعد استعراض مختلف مصادر الشريعة الإسلامية، وضع الدكتور عمران قائمة بالمبررات التى تتفق وتعاليم الإسلام لاستخدام منع الحمل. ويجوز للمسلمين استخدام منع الحمل من أجل :

- تجنب المخاطر الصحية للطفل الرضيع الناجمة عن «تغير» اللبن لدى الأم الحامل؛
- تجنب المخاطر الصحية للأم، والتى قد تنتج عن الحمل المتكرر، والفترات الفاصلة القصيرة للولادات، أو صغر السن؛
- تجنب الحمل بالنسبة للزوجة المريضة بالفعل؛

الإطار ٢

مذاهب الفقه الإسلامى

تسمى مدارس الفقه الإسلامى بـ «المذاهب»، وتعنى «السبل» أو «الطرق». وتمثل المذاهب طرقا مختلفة لتفسير الإسلام؛ وهى ليست ديانات، أو طوائف، أو ملل مختلفة مثلما هو الحال فى الديانة المسيحية. وتعتبر جميع مذاهب الفقه الإسلامى القرآن الكريم والسنة مصدريها الأولين. وهى تختلف فقط فيما يتصل ببعض التفسيرات، وفى مدى صحة المصادر الفقهية الأخرى، وفى طرق صياغة الأحكام.

وينقسم المسلمون أساسا إلى سنة وشيعة. وهناك مجموعتان أخريان من المسلمين، هما الخارجية والظاهرية، وعددهما قليل جدا، ويعيشون فى عمان، والجزائر، وليبيا، وتنزانيا.

المذاهب السنية

تنتمى الغالبية العظمى من المسلمين فى عالم اليوم إلى المذاهب السنية فى الفقه الإسلامى؛ وهم منتشرون فى سائر أنحاء العالم الإسلامى. وقد أطلق عليهم اسم السنة لأنهم يتمسكون بسنة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، التى تشمل أقواله، وأفعاله، أو القبول الضمنى بهما. ومع أن السنة يكنون محبة شديدة لذرية رسول الله وآله، خاصة على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه وابنه الحسين (حفيد رسول الله)، فإنهم لا يعظمونهم، ولا يقصرون الإمامة عليهم وحدهم، مثلما يفعل الشيعة.

وهناك أربعة مذاهب سنية، تعرف كل منها باسم مؤسسها، وهى:

- *المذهب الحنفى*. يوجد أتباعه فى معظم أنحاء العالم الإسلامى. وقد كان المذهب الحنفى هو المذهب الرسمى للدولة العباسية - التى حكمت العالم الإسلامى من العراق طوال الفترة من عام ٧٥٠ إلى ١٢٥٨ ميلادية - وكذلك الدولة العثمانية.
- *المذهب المالكى*. انتشر أتباع هذا المذهب فى شمال أفريقيا، والحجاز والأندلس (أسبانيا العربية). وينتشر أتباعه حاليا فى غرب أفريقيا، وغرب السودان.
- *المذهب الشافعى*. ينتشر أتباعه فى غالبية أنحاء العالم الإسلامى، خاصة فى مصر، والعراق، وسوريا، وشرق أفريقيا، والسودان، وأجزاء من آسيا.
- *المذهب الحنبلى*. يعتبر أتباعه أقل عددا بالمقارنة بأتباع المذاهب السنية الأخرى، ولكنهم منتشرون بنفس درجة انتشار المذاهب الأخرى. وقد اتخذوا مركز تجمعهم فى مصر وسوريا.

المذاهب الشيعية

الشيعة (وهى تعنى «التابعين» أو «الأنصار») هم أنصار الإمام على، ابن عم رسول الله وزوج ابنته. وقد بدأت حركة الشيعة فى القرن الأول الهجرى (بعد هجرة الرسول فى عام ٦٢٢ ميلادية من مكة إلى المدينة). وهم يتفقون مع بقية المجتمع الإسلامى فى جميع القضايا باستثناء قضية الإمامة. ويعتقد الشيعة أن الإمامة ينبغى أن تكون مقتصرة على ذرية الإمام على من فاطمة ابنة رسول الله.

والمذاهب الشيعية الرئيسية المعاصرة هى:

- *الزيدية*. نشأت عنها مجموعتان، تقيم المجموعة الأكبر منهما فى المناطق الشمالية من اليمن، والمجموعة الأصغر فى إيران، خاصة الجزء الشمالى من منطقة بحر قزوين.
- *الإمامة الاثنا عشرية*. يسمى أتباع هذا المذهب بالاثنا عشرية لأن لهم ١٢ إماما، يعتقدون أن الإمام الثانى عشر منهم قد اختفى وسوف يعود. وهى تضم أكبر الجماعات الشيعية، التى توجد أساسا فى إيران، والعراق، وسوريا، وجنوب لبنان، والبحرين، والكويت، وباكستان، وأفغانستان، والهند.
- *الإسماعيلية*. يقصر المذهب الإسماعيلى (أو السبعية) الإمامة على ذرية إسماعيل، ابن جعفر الصادق، الإمام الشيعى السادس. (وتعطى الاثنا عشرية الإمامة لابنه الآخر، موسى الكاظم). وقد أسس الإسماعيليون عدة دول، منها الدولة الفاطمية فى مصر حيث بنوا مدينة القاهرة والجامع الأزهر فى عام ٩٦٩ ميلادية. وبالرغم من استمرار حكم الشيعة ٢٠٠ عام، فإن مصر بقيت سنية. وأصبح الأزهر منذ ذلك الحين قلعة الإسلام الحنيف، خاصة المذهب السنى. وفى عام ١٨١٧، خلع شاه إيران على الإمام الإسماعيلى لقب «أغاخان». ويتركز أتباع هذا المذهب حاليا فى أفريقيا، خاصة فى زنزبار وتنزانيا، وكذلك فى إيران، وباكستان، والهند.

المصادر: Abdel Rahim Omran, *Family Planning in the Legacy of Islam* (London: Routledge, 1992); and Seyyed Hossein Nasr, *Ideals and Realities of Islam* (Chicago: ABC International Group, 2000).

- تجنب انتقال المرض من الآباء إلى أبنائهم؛
- المحافظة على جمال الزوجة ولياقتها البدنية، ومن ثم استمرار استمتاع زوجها بها وضمان حياة زوجية أكثر سعادة، وبقاء الزوج مخلصا لها؛
- تجنب المصاعب الاقتصادية الناجمة عن رعاية أسرة كبيرة، مما قد يدفع الآباء إلى اللجوء إلى أنشطة غير قانونية أو إرهاقهم فى كسب العيش؛
- توفير التعليم، والتنشئة السليمة، والتربية الدينية للأطفال، الأمر الذى يكون أكثر فائدة بالنسبة للأطفال الأقل عددا؛
- تجنب خطر تحول الأطفال عن الإسلام فى أراضى الأعداء؛
- تجنب إنجاب الأطفال فى أوقات الانحطاط الدينى؛ و
- التمكن من اتخاذ ترتيبات للنوم المنفصل للبنين والبنات عند وصولهم إلى سن البلوغ، الأمر الذى يكون أكثر فائدة بالنسبة للأطفال الأقل عددا.

ويشكك بعض المسلمين فى المبررات الاقتصادية لتنظيم الأسرة على أساس أنها تتناقض مع المعتقدات الإسلامية عن التوكل على الله والرزق. ويذكر الدكتور عمران أن الفقهاء لم يجدوا مثل هذه العلاقة مما يجعل المبررات الاقتصادية أمرا مشروعا.

وفيما يتعلق بالمبرر الصحى لتنظيم الأسرة، كتب الدكتور عمران يقول، « إن تجنب المخاطر التى تواجه صحة الأمهات والأطفال من جراء تكرار الحمل يمثل أكثر الأسباب شيوعا لقبول منع الحمل فى الشريعة الإسلامية». ويفسر فقهاء الشريعة الآية الواردة فى القرآن الكريم بشأن إرضاع الأطفال لبن الأم حولين كاملين، وتحذير رسول الله من الحمل فى فترة الرضاعة بأنها بمثابة ترخيص لتباعد فترات الحمل. وبدلا من تجنب الجماع طوال سنتين كاملتين، وهو ما يمثل مشقة شديدة على الزوجين، فإنه يمكنهما استخدام وسائل منع الحمل.

ويفترض فقهاء الشريعة الذين يرون أن الإسلام يجيز منع الحمل أن تكون الوسيلة آمنة وأن تكون ممارستها لأسباب مقبولة. ومثال ذلك أن الإسلام لا يجيز استخدام منع الحمل لتجنب إنجاب الإناث. كما تجدر ملاحظة أنه بينما ترى الغالبية العظمى من علماء الدين أن منع الحمل جائز فى الإسلام، فإنهم غالبا ما يقصرون ممارسته على الوسائل المؤقتة لتنظيم الأسرة. وقد أبدت الغالبية الساحقة من علماء الدين ممن يوافقون على استخدام وسائل منع الحمل الحديثة بعض التحفظات بشأن الوسائل الدائمة لتعقيم الإناث والذكور. ويرى العلماء المعارضون للتعقيم كوسيلة لتنظيم الأسرة أن هذه العملية تعد تدخلا فى إرادة الله ومحاولة لتغيير ما خلقه الله. ولا يوافق بعض الناس على تعقيم الرجال بصفة خاصة استنادا إلى قياسه الخاطئ بعملية الخصى الذى تحرمه السنة.

المعارضة لتنظيم الأسرة

يعارض عدد قليل من فقهاء المسلمين وجماعات إسلامية أخرى تنظيم الأسرة واستخدام وسائل منع الحمل بصفة عامة لسببين. الأول، أنهم يعتقدون أن العزل أو أى عملية أخرى لمنع الحمل تعد بمثابة قتل للأجنة، وهو ما يتكرر إدانته وتحريمه فى القرآن الكريم. والثانى، أن معارضى تنظيم الأسرة، سواء كانوا فقهاء أو غير فقهاء، يعتقدون أنه كلما زاد عدد المسلمين، وارتفع معدل نموهم، قويت شوكتهم. ويرى هؤلاء المعارضون أن الدين يحض على زيادة النسل وأن عدم تحقيق ذلك يعد انحرافا عن الطريق القويم للدين. وهم يجدون ما يؤيد وجهات نظرهم ليس فقط فى القرآن الكريم وإنما أيضا فى سنة رسول الله. ومن ثم، فإنهم يعارضون تنظيم الأسرة، خاصة إذا أصبح سياسة للمجتمع أو الحكومة. كما أنهم يرون أن برامج تنظيم الأسرة، باعتبار أنها نشأت فى الغرب، تمثل مؤامرة للحد من عدد المسلمين وتقليص قوتهم.

وليس من غير الشائع أن تصبح برامج تنظيم الأسرة مسيسة فى المجتمعات الإسلامية. ففى التاريخ الحديث، تعمل جماعات المعارضة فى عدد من الدول على رفض برامج حكوماتهم المنسقة لتنظيم الأسرة كحركة سياسية تستخدم الإسلام فى تدعيم موقفها. ويبين التاريخ أن التوجهات العملية هى التى تسود فى نهاية الأمر. وعلى سبيل المثال، فإنه فى غضون أيام من الثورة الإسلامية فى عام ١٩٧٩، قام زعماء إيران الجدد بإلغاء برنامج تنظيم الأسرة فى البلاد على أساس أنه مؤامرة غربية. غير أنه بعد مرور عشر سنوات، وبينما كانت البلاد تناضل من أجل توفير الاحتياجات الأساسية لشعبها المتنامى، عكست حكومتها الإسلامية اتجاه سياستها، وأسست واحدا من أنجح برامج تنظيم الأسرة فى العالم النامى. (غير أنه تجدر ملاحظة أنه طوال السنوات العشر الأولى بعد الثورة والتى لم يكن يوجد فيها برنامج منسق لتنظيم الأسرة فى إيران، لم تكن الحكومة تحظر الوصول إلى خدمات تنظيم الأسرة، وكانت تلك الخدمات متاحة فى العيادات الخارجية العامة كجزء من نظام الرعاية الصحية الشاملة فى إيران).

كما عكست الجزائر اتجاه موقفها من تنظيم الأسرة. ففى المؤتمر العالمى للسكان عام ١٩٧٤، كانت الجزائر ضمن الدول

التى عارضت برامج تنظيم الأسرة بدعوى أنها مؤامرة إمبرالية تهدف إلى تقليص شعوب العالم النامى. غير أن الحكومة الجزائرية تبنت فيما بعد، كجزء من خطتها القومية للتنمية، سياسة سكانية تشجع على تنظيم الأسرة.

دعم الحكومات لتنظيم الأسرة

لا تقيد أية حكومة فى أية دولة إسلامية بصورة إيجابية الوصول إلى المعلومات والخدمات الخاصة بتنظيم الأسرة، وذلك وفقا لتقرير الأمم المتحدة عن *السياسات السكانية فى العالم عام ٢٠٠٣* . وتقوم إدارة السكان بالأمم المتحدة بانتظام منذ أوائل السبعينيات بإرسال استبيانات إلى الحكومات فى سائر أنحاء العالم عن آرائها وسياساتها المتعلقة بالسكان. وفى ردها على استبيان عام ٢٠٠٣، أكدت الغالبية العظمى من الدول الإسلامية أنها تدعم خدمات تنظيم الأسرة، سواء كان ذلك من خلال المنافذ الخاضعة للإشراف الحكومى أو بصورة غير مباشرة من خلال دعم الموارد غير الحكومية (انظر الجدول ٢).[٣]

وفى الدول الإسلامية، كما هو الحال فى أماكن أخرى من العالم، يجرى عادة توفير خدمات تنظيم الأسرة كجزء من الرعاية الصحية للأمهات والأطفال والرعاية الصحية الأولية. وترى الحكومات أن دورها فى توفير المعلومات والخدمات الخاصة بتنظيم الأسرة ليس مشروعا فقط ولكنه ضرورى لتحسين صحة الأمهات والأطفال بمنع الحمل غير المنظم. وتبين كثير من الشواهد أن الأطفال الذين تنجبهم أمهات تقل أعمارهن عن ٢٠ سنة أو تتجاوز ٣٥ سنة يواجهون مخاطر صحية أكبر. كذلك، فإن الأطفال الذين تتباعد فترات ولادتهم من ثلاث إلى خمس سنوات تكون فرصتهم فى البقاء على قيد الحياة حتى سن الخامسة أكبر بمقدار ٢,٥ مرة من الذين تقل فترات تباعد ولادتهم عن سنتين.[٤]

ويمثل دور الحكومة أهمية خاصة فى إزالة العوائق الاقتصادية لتنظيم الأسرة، وذلك بالعمل على توفير وسائله مجانا أو بأسعار مدعمة للأسر محدودة الدخل والتى قد لا يمكنها بدون ذلك تحمل نفقاته. كما تستطيع الحكومات أن تلعب دورا مهما فى إزالة العقبات الاجتماعية والثقافية من خلال نظام التعليم ووسائل الإعلام، حيث إن المعتقدات الثقافية والدينية يمكن أحيانا أن تمنع الأزواج من استخدام الخدمات الصحية.

وهناك نسبة كبيرة من النساء اليمنيات، على سبيل المثال، يعتقدن أن الإسلام يحرم استخدام وسائل منع الحمل. ويمثل استخدام وسائل منع الحمل فى اليمن أدنى مستوى فى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وقد تغير معدل استخدامها قليلا فى السنوات الأخيرة ليزيد من ٢١ فى المائة عام ١٩٩٧ إلى ٢٣ فى المائة عام ٢٠٠٣ بين النساء المتزوجات. وفى عام ١٩٩٧، أفاد ثلثا النساء اليمنيات اللاتى لا يستخدمن وسائل منع الحمل أنهن لا يعتزمن استخدامها فى المستقبل. وكان السبب الأكثر شيوعا الذى قدمته هو الرغبة فى الحمل (٢٣ فى المائة)، يليه التحريم الدينى لتنظيم الأسرة (١٧ فى المائة)، ثم معارضة الأزواج (٩ فى المائة). وتتميز اليمن بأعلى معدلات الإنجاب فى المنطقة وكذلك بأعلى معدلات الوفيات للأطفال والأمهات.[٥]

وغالبا ما تعمل الحكومات التى تطبق برامج منسقة لتنظيم الأسرة، مثل مصر وإيران، على إشراك كبار رجال الدين فى حملاتها لتنظيم الأسرة. ومصر هى موطن الجامع الأزهر وجامعة الأزهر - وهما مركزا التعليم الإسلامى. ويصدر هذان المركزان بصفة منتظمة الفتاوى المؤيدة للأساليب الحديثة لمنع الحمل، وهى فتاوى تستفيد منها الحكومة المصرية فى حملاتها الناجحة لتنظيم الأسرة. كما أن وسائل منع الحمل متاحة فى مصر فى جميع مرافق الرعاية الصحية الأولية الحكومية، ولكن العوامل الثقافية لا تزال تلعب دورها فى الحيلولة دون وصول كثير من الأزواج المصريين إلى خدمات تنظيم الأسرة.

وفى إيران، فإنه منذ عودتها إلى تطبيق خطتها القومية لتنظيم الأسرة، دأبت وزارة الصحة والتعليم الطبى فى طهران على إرسال الفتاوى بانتظام إلى مكاتبها الإقليمية ومنها إلى المستويات الأدنى من الشبكة الصحية لإزالة أى شكوك قد تراود مقدمى الخدمة الصحية أو المستفيدين منها والتى تجيز استخدام وسائل منع الحمل فى الإسلام. وعادة ما تعمد العيادات الصحية إلى عرض الفتاوى فى أماكن بارزة لكى يراها المترددون عليها. وليس التماس الفتاوى بشأن تنظيم الأسرة حكرا على وزارة الصحة فى طهران. ولكن يمكن الحصول على الفتاوى الخاصة بتنظيم الأسرة من رجال الدين المحليين أيضا.

وتستخدم ٧٤ فى المائة من النساء المتزوجات فى إيران حاليا وسائل منع الحمل - وهى أعلى نسبة فى الدول الإسلامية، وتضاهى دولا مثل فرنسا والمملكة المتحدة. كما تتميز إيران عن دول إسلامية أخرى بأنها استطاعت سد الفجوة بين النساء فى الريف والحضر بالنسبة لاستخدام الأساليب الحديثة لمنع الحمل - حيث تستخدم ٥٥ فى المائة من النساء المقيمات فى المناطق الريفية والحضرية الإيرانية إحدى الوسائل الحديثة. ويوفر برنامج تنظيم الأسرة فى إيران جميع وسائل منع الحمل - بما فى ذلك تعقيم الإناث والذكور - مجانا. ويعطى البرنامج أولوية لإشراك الرجال فى تحمل نصيبهم من المسئولية فيما يتعلق بمنع الحمل.[٦]

الجدول ٢

الخصوبة، واستخدام وسائل منع الحمل، والآراء الحكومية بشأن الخصوبة حاليا، والسياسات الخاصة بالوصول إلى الوسائل الحديثة لمنع الحمل فى دول تصل فيها نسبة المسلمين إلى ٥٠ فى المائة أو أكثر

	إجمالى معدل الخصوبة *	نسبة المتزوجات بين ١٥-٤٩ سنة اللاتى يستخدمن وسائل منع الحمل		الرأى بشأن المستوى الحالى للخصوبة	السياسة الخاصة بالوصول إلى وسائل منع الحمل
		جميع الوسائل	وسائل حديثة		
أذربيجان	١,٨	٥٥	١٢	مرض	دعم مباشر
الأردن	٣,٧	٥٦	٤١	مرتفع جدا	دعم مباشر
أفغانستان	٦,٨	٥	٤	مرض	دعم غير مباشر
ألبانيا	٢,١	٧٥	٨	مرض	دعم مباشر
الإمارات العربية المتحدة	٢,٥	٢٨	٢٤	منخفض جدا	لا دعم
إندونيسيا	٢,٦	٦٠	٥٧	مرتفع جدا	دعم مباشر
أوزبكستان	٢,٩	٦٨	٦٣	مرض	دعم مباشر
إيران	٢,٠	٧٤	٥٦	مرتفع جدا	دعم مباشر
باكستان	٤,٨	٢٨	٢٠	مرتفع جدا	دعم مباشر
البحرين	٢,٧	٦٥	–	مرض	دعم مباشر
بروناى	٢,٣	–	–	مرض	لا دعم
بنغلاديش	٣,٣	٥٤	٤٣	مرتفع جدا	دعم مباشر
بوركينا فاصو	٦,٢	١٤	٩	مرتفع جدا	دعم مباشر
تركمانستان	٢,٩	٦٨	٦٣	مرض	لا دعم
تركيا	٢,٥	٦٤	٣٨	مرتفع جدا	دعم مباشر
تشاد	٦,٦	٨	٢	مرض	دعم مباشر
تونس	٢,٠	٦٠	٤٩	مرتفع جدا	دعم مباشر
الجزائر	٢,٥	٦٤	٥٠	مرتفع جدا	دعم مباشر
جزر القمر	٦,٨	٢٦	١٩	مرتفع جدا	دعم مباشر
جزر المالديف	٣,٧	٤٢	٣٢	مرتفع جدا	دعم مباشر
جيبوتى	٥,٩	–	–	مرتفع جدا	دعم مباشر
السنغال	٥,١	١١	٨	مرتفع جدا	دعم مباشر
السودان	٥,٤	–	–	مرتفع جدا	دعم مباشر
سوريا	٣,٨	٤٩	٣٢	مرض	دعم مباشر
الصومال	٥,١	١١	٨	مرض	دعم غير مباشر
طاجيكستان	٣,١	٣٤	٢٧	مرتفع جدا	دعم مباشر
العراق	٥,٠	–	–	مرض	دعم مباشر
عمان	٤,١	٢٤	١٨	مرتفع جدا	لا دعم
غامبيا	٥,٦	١٠	٩	مرتفع جدا	دعم مباشر
غينيا	٦,٠	٦	٤	مرتفع جدا	دعم مباشر
قطر	٤,٠	٤٣	٣٢	مرض	دعم مباشر
قيرغيزيا	٢,٦	٦٠	٤٩	مرض	دعم مباشر
الكويت	٤,٠	٥٢	٣٩	مرض	دعم غير مباشر
لبنان	٣,٢	٦٣	٤٠	مرض	دعم غير مباشر
ليبيا	٣,٦	٤٩	٢٦	مرض	لا دعم
مالى	٧,٠	٨	٦	مرتفع جدا	دعم مباشر
ماليزيا	٣,٣	٥٥	٣٠	مرض	دعم مباشر
مصر	٣,٢	٦٠	٥٧	مرتفع جدا	دعم مباشر
المغرب	٢,٥	٦٣	٥٥	مرتفع جدا	دعم مباشر
المملكة العربية السعودية	٤,٨	٣٢	٢٩	مرض	دعم غير مباشر
موريتانيا	٥,٩	٨	٥	مرض	دعم مباشر
النيجر	٨,٠	١٤	٤	مرتفع جدا	دعم مباشر
نيجيريا	٥,٧	١٢	٨	مرتفع جدا	دعم مباشر
اليمن	٧,٠	٢١	١٠	مرتفع جدا	دعم مباشر

*متوسط عدد الأطفال المولودين لامرأة واحدة إبان حياتها. – = غير متاح.

المصـــادر: PRB, *2004 World Population Data Sheet*; United Nations, *World Population Policies, 2003*; and UNFPA, UNICEF, Statistical Center of Iran, and the Iranian Ministry of Health and Medical Education, *Population and Health in the Islamic Republic of Iran—DHS, October 2000.*

برنامج المكتب المرجعى للسكان فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

إن هدف برنامج المكتب المرجعى للسكان فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا هو الاستجابة للاحتياجات الإقليمية للمعلومات والتحليلات الموضوعية والمناسبة زمنيا حول السكان والقضايا الاجتماعية – الاقتصادية، وقضايا الصحة الإنجابية. ويزيد البرنامج الوعى بهذه القضايا لدى صناع القرار فى المنطقة وفى المجتمع الدولى، على أمل التأثير على السياسات وتحسين حياة السكان المقيمين فى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

وتتضمن أنشطة برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا : إنتاج ونشر الإصدارات المطبوعة والإليكترونية حول الموضوعات المهمة المتعلقة بالسكان، والصحة الإنجابية، والبيئة، والتنمية (والكثير من المطبوعات مترجم إلى العربية)، والعمل مع الصحفيين فى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لزيادة معلوماتهم وتغطيتهم لقضايا السكان والتنمية، والعمل مع الباحثين فى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لتحسين مهاراتهم فى نقل نتائج أبحاثهم إلى واضعى السياسة ووسائل الإعلام.

ويعتبر المكتب المرجعى للسكان رائدا فى توفير المعلومات الحديثة والموضوعية بشأن الاتجاهات السكانية الأمريكية والدولية ودلالاتها. ويحتفل المكتب المرجعى للسكان فى عام ٢٠٠٤ بذكرى مرور ٧٥ عاما على تأسيسه.

دراسات موجزة للسياسة فى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا:

الإسلام وتنظيم الأسرة (أغسطس ٢٠٠٤)

التقدم نحو أهداف الألفية الإنمائية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (مارس ٢٠٠٤)

نحو أمومة أكثر أمانا فى مصر (مارس ٢٠٠٤)

تمكين النساء، وتنمية المجتمع: تعليم الإناث فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (أكتوبر ٢٠٠٣)

الصحة الإنجابية للمرأة فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (فبراير ٢٠٠٣)

إيجاد التوازن: السكان وندرة المياه فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (يوليه ٢٠٠٢)

برنامج تنظيم الأسرة فى إيران: استجابة لاحتياجات أمة (يونيه ٢٠٠٢)

الاتجاهات والتحديات السكانية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (أكتوبر ٢٠٠١)

وهذه الدراسات الموجزة متاحة بالإنجليزية والعربية، وتستطيع جماهير القراء فى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا طلبها مجانا، وذلك بالاتصال بالمكتب المرجعى للسكان عن طريق البريد الإليكترونى (prborders@prb.org) أو على العنوان المذكور أدناه. وتوجد النصوص الإنجليزية على موقع الإنترنت الخاص بالمكتب المرجعى للسكان (www.prb.org).

خاتمة

يعتبر تنظيم الأسرة قضية صحية وإنمائية مهمة، وكذلك إحدى قضايا حقوق الإنسان. ولا تختلف الدول والمجتمعات الإسلامية عن باقى العالم، فهى تتطلع للوصول إلى أهدافها الإنمائية من خلال تحسين صحة النساء والأطفال فيها. ولا ينبغى اعتبار الإسلام عقبة أمام هذا المسعى. وتستطيع الحكومات والمنظمات غير الحكومية، وكذلك المجتمع الدولى للتنمية، دعم الإقبال المتزايد على استخدام وسائل منع الحمل. ومن شأن هذه الجهود أن تساعد فى منع حالات الحمل غير المخطط، وكذلك معاونة الأسر فى تحقيق الحجم الذى تريده، وذلك من خلال توفير الدعم المالى والسياسى لبرامج الصحة الإنجابية ذات الحساسية الثقافية، والتى تلبى حاجات الزوجات والأزواج المسلمين.

المراجع

[1]Abdel Rahim Omran, *Family Planning in the Legacy of Islam* (London: Routledge, 1992).

[2] United Nations, "Programme of Action Adopted at the International Conference on Population and Development, Cairo, 5-13 September 1994," *Population and Development* 1 (New York: United Nations Population Fund (UNFPA), 1995): 9.

[3] United Nations, *World Population Policies 2003* (New York: United Nations, 2004).

[4] John Hopkins University Center for Communication Programs, "Birth Spacing: Three to Five Saves Lives," accessed online at www.infoforhealth.org/pr/l13edsum.shtml, on May 10, 2004.

[5] ORC Macro, *Yemen Demographic and Health Survey, 1997* (Calverton, MD: ORC Macro, 1998): tables 4.6, 4.14, and 4.16.

[6] Farzaneh Roudi-Fahimi, *Iran's Family Planning Program: Responding to a Nation's Needs* (Washington, DC: Population Reference Bureau, 2002).

تنويه

أعدت هذا الموجز فرزانة رودى - فهيمى، أحد كبار محللى السياسة بالمكتب المرجعى للسكان، بالتعاون مع موظفى المكتب. ويجدر توجيه شكر خاص للأستاذ الدكتور جمال ابو السرور، وأحمد رجاء رجب، وميرفت محمود بالمركز الإسلامى الدولى للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر، وكذلك الدكتورة مها العدوى بمكتب مؤسسة فورد التربوية فى القاهرة، الذين قاموا جميعا بمراجعة هذا التقرير وتقديم ملاحظات مفيدة حوله.

وقد كتب الدكتور عبد الرحيم عمران «*Family Planning in the Legacy of Islam*» «*تنظيم الأسرة فى التراث الإسلامى*» بدعم من صندوق الأمم المتحدة للسكان وبالتعاون مع عدد من المؤسسات الإسلامية فى سائر أنحاء العالم، بما فيها جامعة الأزهر بالقاهرة حيث تولى منصب مستشار أول للسكان فيها.

قام بتمويل هذا العمل مكتب مؤسسة فورد التربوية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا فى القاهرة.

أعد الترجمة العربية: مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام

طباعة: مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

© حقوق الطبع ٢٠٠٤ المكتب المرجعى للسكان

1875 Connecticut Ave., NW, Suite 520 ■ Washington, DC 20009 USA
Tel.: 202-483-1100 ■ Fax: 202-328-3937 ■ E-mail: popref@prb.org ■ Website: www.prb.org